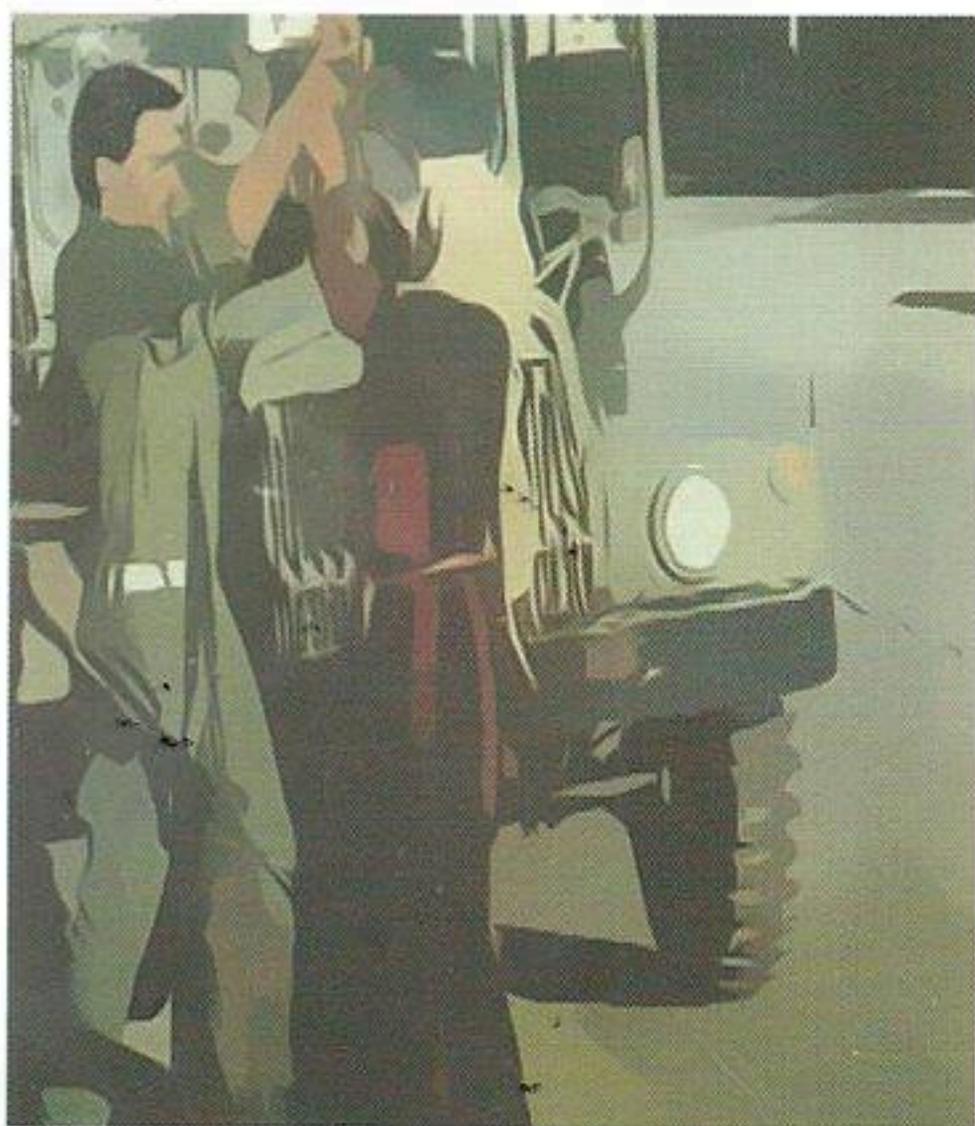


سعادة أبو عراق

الإشتياك

رواية



إهداء

إلى أرواح الشهداء الأربعة
بسام موسى طوافشة — سنجل
أسامة موسى طوافشة — سنجل
محمد منصور — كفر قليل
خليل ولويل — قلقيلية
الذي اغتالهم المجرم (استر فايز جان)
يوم ٢٠٠٥/ ٨ / ١٧
في مستوطنة شيلو
لكم الرحمة وعلينا حمل النضال

شيلو ، كما أصبح اسم هذه المستوطنة التي أنشئت منذ سنوات قليلة، تحشر نفسها في معصم من القرى، سنجل من الغرب وقرىوت واللبن من الشمال وترمسعيا وأبو فلاح من الجنوب، وجالود من الشرق، تتمطى موجعة على جميع الجهات، وجع يُدارى بالعضّ عليه، ريثما يفتح الله باباً للفرج، إنها بؤرة سرطانية كما يقول عنها فلاحو هذه القرى، يخشون تمددها وانتشارها، لذلك فإن الحذر والترقب يحكم العلاقة بين الطرفين.

وها هو الكابتن إياهو موكل إليه حراستها بيقظة متواصلة، وحذر دائم، وتنبه بعيون أربع، لكنه لا يكاد يرى من حوله شيئاً كأنها قرى مرسومة بالحبر السري، حتى كاد أن يشك في أن عمله لا فائدة منه، فالهدوء أكثر مما هو مفترض، فمنذ مدة وهو يفتعل المشكلات، لكي يتأكد أنه على قيد العمل، وأيضا جنوده أوشكوا على التمرد أو الميل إلى الإهمال، لفرط ما أحسوا من سكون وهدوء، فها هو الكابتن الياهو دأبه في كل يوم، يجلس وراء مكتبه مشغولا - أو هكذا يبدو لكنه اليوم هادئا على

الإشـتـبـاك

قلق، يفرد أمامه صحيفة (معاريف)، يقرأ العناوين بلا شهية يجعل اهتمامه مركزاً، لولا عنوان جذبته ليقراً فيه، ظاهرة خطيرة في الجيش الإسرائيلي، حاول أن يقرأ تفصيلات البحث أو الدراسة، إلا أن الزيارة التي ينتظرها، من أستاذه البروفيسور جان ريمون، لا تجعله مستعداً ذهنياً لقراءة موضوع كهذا، أزاح الجريدة جانبا يستفزه فرح طفلي، يحاول تسجيل الملاحظات التي سيتكئ عليها ويثبت انه مازال تلميذا نجيبا في اللقاء مع أستاذه الذي أحبه في الجامعة، حالة من القلق العميق ورهبة من المعلمين لم تغادره حتى اليوم، أهو الخوف من فشل اللقاء؟ أم خوف من قوانين إدارية يجهلها؟ تمنع مثل هذا اللقاء، وهذه الدراسة التي يزمع إجراءها، لكن قلقه لا يكاد يستقر في نفسه حتى يغزوه اطمئنان راسخ أن لا عقوبات جديّة على التجاوزات الأمنية على المواطنين الفلسطينيين.

لكن طرقاتٍ خفيفة حياء على الباب الموصد، تنبهه
حيث قال بلا انفعال:
- ادخل ...

فدخل الجندي عاموس متوجساً ومؤدياً التحية
العسكرية، نظر إليه الضابط وفي عينيه غيظٌ واستنكارٌ،
فَهَمَّهَا الجنديُّ ، فإزداد موقفه إحراجاً.

فقال في هجومية واضحة:
- اعتقد أن نوبتك في الحراسة لم تنته بعد ..؟ أليس
كذلك ...؟

فقال مقللاً من المشكلة :

- لم يبق إلا نصف ساعة ...!!

احتدَّ الضابط وقال بحزم :

- ومن قام مقامك في هذه المدة ؟

فقال الجندي وقد رفع الكُلفةَ بما يوحي بصِلاتٍ

خاصة :

- منذُ حرب الأيام الستة ، لم يحدث شيء يذكر.

الإشتباك

استشاط الضابط وقال :

- ما ذا تعني بقولك هذا..؟
- لم يحدث طوال هذه الفترة ما يستحق كل هذه الدوريات والحراسات.
- هذا ليس من شأنك، ولا يكون تبريراً لإهمالك في عملك .
- إنها قناعاتي .
- دع قناعاتك لنفسك، لقد تغيبت أمس الأول عن خفارتك، وأغضيتُ عنك، كأني لم أعلم بذلك، وها أنت تعيدها اليوم.
- لم يبق إلا نصف ساعة، ولن يحدث في هذه الفترة ما يمكن أن أندم عليه.
- نفذ صبر الضابط، فوضع القلم وأنزل النظارة وتوجه بتهديداته إليه:
- اسمع يا عاموس أرجو ألا تورطني وتخرجني أكثر بأعمالك وتصرفاتك، لقد تغاضيت كثيراً عن

مخالفاتك، وأرجو أن لا تعتبر قريك مني ميزة لك،
فكل مخالفاتك وتجاوزاتك محسوبة عليّ، وأتحمل
وزرها أكثر منك، اذهب ولا تخرجني أكثر، لقد وُجّه
إليّ أكثر من اتهام بسببك.

شعر الجندي بالخجل فقال متذللًا :

- سامحني أنا لا أقصد الإساءة إليك .
- اذهب الآن إذاً، وعليك أن لا تعود قبل أن يتسلم
خفارتك جندي آخر.

تلکأ عاموس وقال في رجاء :

- أمرك، أمرك، سوف أذهب ، و...و...ولكنني في الحقيقة...
، جئت لغرض آخر.
- أعرف طلباتك ولا أريد أن أسمع المزيد .
- لولا أهمية الطلب لما جئت متجاوزاً .
- قلت لك إنني أعرف طلباتك غيباً، تريد إجازة طويلة،
سأمنحك إياها حالما تعود .

الإشتباك

- لا...لا... لا
- إن كان غير هذا سأدقق بطلبك ولن تخدمني ثانية،
أنا أعرف أساليبك.
- لا..لا.. هذا ليس في حساباني.
- ألا ترى أننا نتعامل معاملة شخصية، أكثر منها
رسمية، عليك أن تنسى أننا أقرباء، وعليك أن تخاطبني
مخاطبة الجندي لرئيسه !!!
- أفهم...أفهم... ولكن ...
- ينهض الضابط إلیاهو من خلف مكتبه ويدفعه
نحو الخارج.
- اذهب .. اذهب ... ولا ترني وجهك إلا بعد ساعة من
الزمن.
- ليس قبل أن تلبي لي طلبي أولاً، اسمعني أولاً.
- لن أسمع لك قبل إتمام خضارتك.
- أريد أن تقرضني مبلغاً من المال.

دفعه للخارج بازدياء، لكن الباب طُرقَ ثانية، فأسرع الضابط إياهو للعودة خلف مكتبه، بينما ظل الجندي عاموس حائراً، ويزداد حيرة، وخاصة حينما دخل البريفسور (جان) يحمل حقييته، وعلى وجهه الوقار والهيبة، فنهض الضابط وأبدي ترحاباً صادقاً مبالغاً به، لأستاذه الأثير، ترحاباً وجد فيه الجندي نفسة زائداً في غير موضعه، فانسحب وترك للضابط استقبال أستاذه الذي ينتظره، ويقول وهو يشير للكرسي :

- شرف عظيم أن تزورني في مكتبي.
- أرجو أن لا أكون قد أثقلت عليك أو أخذت من وقتك.

- لا ... إن الدراسات الميدانية التي تقوم بها لشيء عظيم، ويسعدني أن أتعاون معك.
- شكراً... إنه أمر يهم الجميع.

قطع البروفيسور ثرثرة الترحاب الجوفاء وقال:

الإشـتـبـاك

- لا بد لنا من أن نضع أولاً الخطوط العريضة للحوار المقترح.
- كما تريد، ضع تصورك وأنا أنفذ.
- فتح الأستاذ حقيبة أوراقه، وقال وهو يفتش بها:
- لا أدري إن كان انتقاءك للشخص، كافياً لكشف المشاعر والانفعالات التي تنتاب من نصادر أراضيتهم. حاولت جهدي.
- المهم أن لا يكون انفعالياً بطبعه.
- حاول الياهو أن ينبه الأستاذ الجامعي.
- أنت تعلم يا أستاذي أن هذه الدراسة غير مصرح بها، ولا أريد أن أكون عرضة للانتقاد.
- أعرف، أعرف، واني أشكرك على تعاونك.
- لقد راعيت امتلاك فلسطيني قطعة أرض كبيرة مجاورة (لشيلو).

- هذا جيد، ويجعل الاستدعاء مبرراً، مما يخلق تعبيرات وانفعالات حقيقية وتصرفات صادقة.
 - إنني درست علم النفس على يديك.
 - أريد أن أعرف ردة الفعل عند الفلسطينيين من النواحي النفسية والعصبية والسلوكية والذهنية، حينما يعلمون عن مصادرة أراضيهم.
 - إنها حالة لا توصف، وفعلناها - حقيقة - أكثر من مرة، ولم يخطر ببالي تسجيلها، ربما لا أستطيع أن أرد انفعالاتهم لأصولها السكيولوجية مثلك.
 - إنك تتفهم جيداً، ويبقى الأهم أن يأتي في الموعد المأمول، فأنا مرتبط بمحاضرات في الجامعة.
 - سيكون هنا بعد قليل، فقد أرسلت دورية لإحضاره.
 - لنستغل الوقت، اعطني بعض التفاصيل.
- بحث الضابط عن ورقة على سطح المكتب، وحينما وجدها قال:

الإشتباك

- اسمه فايز الراجح من بلدة (ترمسعيا) المجاورة (شيلو)، لديه قطعة أرض كبيرة ملتصقة بحدود (شيلو) الجنوبية، نصفها في سفح التلة والآخر ممتد في السهل، نصفها الجبلي مزروع بالأشجار ونصفها الآخر بالنباتات الحقلية.

- أريد أن أعرف كيف سنواجهه بأمر المصادرة.
- غالبا نحن لا نقوم بإبلاغهم، نحن نصادر الأرض، ومن ثم يأتون للمراجعة والاحتجاج ورفع القضية للمحكمة.
- إذن قد يفهم أن استدعاءه غير حقيقي.
- لا عليك إنهم يعتقدون أننا مزاجيون، نفضل كما يحلو لنا، ولن يخطر ببالهم أننا نقوم بدراسة، لأن هذا ليس من ثقافتهم.

سر البروفيسور لهذا التعليل، وهز رأسه كي يتابع فقال الضابط:

- هذا الشخص سبق أن اعتقلناه، بسبب أن أغنامه تجاوزت حدود شيلو إلى الداخل، ويبدو أنه تركها تتوغل

ثم لحق بها، ثم أطلقناه على أنه راع مسكين، ومرة أخرى عطل في منعطف الطريق إلى شيلو سيارةً، فك منها قطعة وتركها واقفةً مستعرضةً تسد الشارع، خشينا أن تكون فيها متفجرات، حملناها بالونش وصادرناها، وعثرنا عليه من خلال رخصتها، ادعى أنها سرقت، لكننا حققنا معه طويلاً، وتبين لنا انه ربما يجرب بعض أساليب التخريب، حبسناه بضعة أشهر ثم أطلقناه بكفالة.

- جيد، فاستدعاؤه ليس مستغرباً، يمكن جعله سبباً مقنعاً.

- بالطبع، وسأقول له وأنا في غاية من برودة الأعصاب، إننا سوف نصادر أرضك، ونضمها للمستوطنة، وعندها سوف يثور ويصيح مستنكراً، وهذا انفعال قمين بالتسجيل والدراسة، ولكني سأمعن باستفزازه بأن أقول له إننا قررنا له تعويضاً مقداره ألف وثلاثمائة وتسع وثلاثون ليرة، لأن مبلغا تافها كهذا يشعره بالسخرية، فيرفض

الإشتباك

ذلك، ويبدأ بالدعاء علينا والطلب من ربه أن ينتقم له
وينزل غضبه علينا ويمحقنا.

- جيد، هذا يدلنا على منهج تفكيره، وتصوره للأمور،
وبأي الأمور يستعين، أبالله أم بالقوة أم بالقانون؟ فَرْدَةٌ
الفعل الطبيعية تكشف الكثير من جوانب الشخصية.

- وهناك أساليب إغاضة أخرى، كأن نطلب منه إزالة
الأشجار بنفسه أو على نفقته. أو هدم الأبنية المقامة،
وهذا يجعل عنده صدمة أعنف، وهناك ناحية أخرى
ينبغي تسجيلها وهو تشبث الفلسطيني بأرضه، رغم أنها
لا تدرّ عليه ربحاً، فإنه أيضاً يرفض مبادلتها بالمال، ومهما
كان هذا المال.

- لذلك نريد أن ندرس هذه الظاهرة، من خلال
تعويضات حقيقية وجيدة، أو إعطائه قطعة أرض معادلة
لقطعته في مكان آخر، أو الإشارة عليه بأن يشتري قطعة

أرض مضاعفة في الأردن، أو أي بلد آخر، أريد أن أعرف مصدر هذه الظاهرة.

- الحقيقة لا أعرف سر التقديس للأرض، حتى لو طلبت من شخص غائب عن البلاد، وقلت له : ما دمت لا تستفيد من أرضك، فلماذا لا تبيعها؟ فإنه يرفض أيضاً، أما حينما نصادرها فعلاً، فإنه يستسلم استسلاماً قديماً ، كأنه على يقين أنه سيستعيدها .

نظر الدكتور في ساعته وقال :

- لقد تأخرت، إن عملي لا يسمح لي بالكثير من الوقت.
- لا أظن الانتظار سوف يطول.
- إذن علي أن أصلح بعض الخلل في سيارتي.
- كما تريد، أظن أنه لن يتأخر كثيراً.

نهض الدكتور، دو أن يكرر التعبيرات المألوفة في الوداع، ولم يمانع إليها، فقد أشغل ذهنه ذلك المدعو عاموس، وهذه الصبيانية التي يمارسها، فما أن خرج

الإشتباك

- الدكتور حتى دلف عاموس مباشرة كأنه ينتظرُ
الدخول، مما فاجأ الضابط، إياه فقال كالحائق:
- عدت بسرعة ! وكأنك لم تذهب ؟
 - إنني بحاجة إلى نقود، حاجة ماسةً جداً.
 - لا أظنك بحاجة لهذه الدرجة من الإلحاح، وكأنك
طفلاً صغيراً...!
 - يجب أن أدفع الآن ثمن ال
ثم أحجم متراجعاً عن زلة لسان لم تفلت منه.
 - ثمن ماذا ؟ قل ثمن ماذا ؟ إنني خبيرٌ بالأعييك
وحججك، لا يوجد أمر مستعجل بل مصروفٌ مستعجل.
 - لا وقت للوم أو التقريع أو التأييب، أريد منك ألف
ليرة.
 - اتركني من سخافاتك وألاعيبك.
- قالها بازدراء وهو يرمقه بقرف، حيث شاهد موقع
مسدسه الخالي.

- أين مسدسك ؟
- ارتبك، حيث تفاجأ بالسؤال، فوضع يده كأنه يخفيه.
- مسدسي...!! مسدسي...!!
- نعم مسدسك ، لقد لاحظت جرابه فارغاً حينما خرجت.
- فقال كمن يتذكر :
- آه... نسيته، نسيته في البيت.
- ما هذا الكلام ؟ ما هذا السخف ؟ كيف تنسى مسدسك وكأنك تلميذٌ ينسى قلمه أو دفتره ؟
- نسيته...! ألا يجوز أن أنساه ؟
- شيء لا يحتمل، إنني ما عدت أطيع هذه اللامبالاة، وهذا التقاعس الذي فيك، قد أصبحت تثير أعصابي، يجب أن أقدمك للمحاكمة على هذا الإهمال.
- حاكمني كما تريد...! ولكن اقضني المبلغ.

الإشتباك

- ألم تنس الطلب بعد ...؟! ألم تخجل من نفسك ؟
 - إن حاجتي للمبلغ أعظم بكثير من ازدرائك لي وغيظك مني.
 - ما هذا الكلام ؟
 - إني في ورطة، أرجو أن تساعدني .
 - سخيف ...! أرعن ...! دائما توقع نفسك في المشاكل وتطلب مني أن أساعدك، قل بريك، ما كنت ستفعله لو لم أكن قائدك، والمسئول عنك ؟
 - ليس هذا وقت التأنيب واللوم، اعطني ثم لمني؟
 - ولكنك لم تقل لي بعد ، لماذا تريد المبلغ .
 - ستعرف في حينه ... أكيد سوف تعرف
- ولكن اعطني أولا .

- ولماذا تعتقد أنني أحمل مبلغاً مثل هذا ؟ إنني لا أحمل غير مصروف الجيب.
- أقبل شيكا .
- لا أحمل دفتر شيكات.
- ولكن لا بد من مبلغ.
- ولكنك إلى الآن لم تقل عن حاجتك لهذا مبلغ .

همّ بأن يفصح له ثم أحجم قائلاً، اعطني أولاً ثم أقول لك .

- قل لي .. فقد أملك لك حلاً آخر.

ما كان يملك اللغة الصريحة ليفصح عن قصة المسدس، لذلك أشار إلى جراب المسدس الفارغ، لكن إلباهو لم يفهم الإشارة الغامضة.

- أنا لا أفهم ، قل لي ماذا تعني ؟
- لقد ضاع المسدس، وأريد شراء مسدس آخر.

الإشتباك

- ذهل الضابط، فما كان سهلاً عليه أن يغير مجرى تفكيره، فقال كأنه يبحث عن منطلق جديد:
- هكذا إذن...!! ضاع المسدس...؟ ألا تعلم أنها جريمة تستحق عليها السجن والتنزيل؟
 - أعلم... ولكنه الخطأ الذي حدث...
 - بل المأساة...! لكن قل لي كيف ضاع...؟
- أتصور كيف تفقد رزمة مفاتيحك...! أن تفقد حافظة نقودك، ولكن أن تفقد مسدسك، فهو أمر في غاية الخطورة، إنه أمر لم يحدث من قبل.
- لم يحرّ عاموس جواباً، بل استسلم للتأنيب المؤلم قليلاً، حيث قال الضابط:
- يجب أن أحيلك لهيئة التحقيق، يجب أن لا أتستر عليك.
 - أرجوك... أرجوك...، هذا آخر خطأ لك أن تغضره لي، علي الآن _ وقبل أي وقت آخر _ أن أحصل على مسدس وأسوي الأمور.

- إذن تريد أن تشتري مسدساً؟ هل تريد أن تضحك عليّ أم على الدولة، أم على نفسك؟
- المهم أن يكون معي مسدس.
- ولكن قل لي كيف ضاع؟ يجب أن تكون هناك هيئة تحقيق، فما أدراني أنه سوف يعثر عليه؟
- ليس مهماً....! كل شيء يحل في حينه.
- أنا لا يمكن أن اشارك معك في هذه المهزلة.
- إنك تقرضني المبلغ ولا تعلم ما صنعت به، إنك غير مشترك معي ولا متواطئ، أنا وحدي أتحمّل مسؤولية القضية، إنك تعلم مدى خطورة الإدانة التي ستقع علي إذا ما علّم الأمر.
- استلقى الياهو مرهقا متردداً لا يدري ما يفعل، فقال وهو ينفخ غيظاً:
- قلت لك لا أملك مبلغاً مثل هذا، ولا مناص من أن أحيلك إلى لجنة التحقيق.

الإشتباك

- اعطني المبلغ، وأنا مسئول عما يحدث بعد ذلك.

- يا إلهي، لماذا يكون للإنسان أقرباءً مثلك؟ لماذا لم أنقلك من هنا قبل أن تستفحل مشاكلك؟ إنني ما عدت أطيع تجاوزاتك.

- انقلني من هنا انقلني، لا مانع عندي، ولكن بعد أن تنقذني هذه المرة .

أخرجَ إياهو حافظة نقوده، وهو مغلوبٌ على أمره، وتناول منها رزمةً كبيرةً، وأعطاه إياها، وهو يقول:

- اشترِ المسدس بسرعة، وحاول أن تعثر على مسدسك المفقود، ولا مناص من أن تعثر عليه، وأنا سأخون ضميري وأتجاهل جريمتك.

كأن عاموس لم يصدق عينيه، استلمها، ومضى وكأنه أفلت من العقاب، بالغ بالشكر والامتنان، وخرج وهو يلهج بالدعاء والثناء، تاركاً إياهو غارقاً في تساؤلاتٍ ومخاوفٍ يمثّلها حدسه التشاؤمي، لم ينقذه إلا بعض

الطَّرَقَاتِ عَلَى الْبَابِ، حَيْثُ دَخَلَ الدُّكْتُورُ
(جَان)، لَكِنْ سِيَمَاءُ التُّوتِرِ وَالْأَنْفَعَالِ لَمْ تَغَادِرْ قِسْمَاتِهِ،
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مَحْوَهَا، وَلَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتِمَثَلَ طَبِيعَتَهُ الَّتِي
تَنَاسَبَ اسْتِقْبَالُهُ لِأَسْتَاذِهِ، بِمَا يَظْهَرُهُ مَكْشُوفًا أَمَامَ
الدُّكْتُورِ، فَالِدُّكْتُورُ يَفْهَمُ لُغَةَ الْجَسَدِ وَيُفْسِرُ الْمَشَاعِرَ،
كَانَ الْإِعْيَاءُ الذَّهْنِي الَّذِي أَثَخَنَ جِسْمَهُ، وَجَعَلَهُ يَتَنَفَسُ
بِبَطْءٍ، وَتَصَبَّحَ حَرَكَتُهُ بَطِيئَةً مِتَخَاذِلَةً، فَقَالَ بِصَوْتٍ
مَنْهَكٍ وَذَهْنٍ شَارِدٍ، وَتَقْرِيرِيٍّ فِي كَلَامِهِ: كَأَنَّ قَشْعِرِيرَةَ
قَدْ مَسَّتْهُ.

- تَفَضَّلْ ... اجْلِسْ .. لَعَلَّهُ قَادِمٌ.

شَعَرَ الدُّكْتُورُ بِأَمْرٍ مَا قَدْ طَرَأَ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِلْتِقَاءِ أَنْ
يَمْضِي فِي جَوْ غَيْرِ مَرِيحٍ، فَرَأَى أَنْ يَنْسَحِبَ انْسِحَابًا
دِبْلُومَاسِيًّا، نَظَرَ فِي سَاعَةِ يَدِهِ وَقَالَ:
- أَمَامِي نِصْفُ سَاعَةٍ فَقَطْ.

وَلَكِي يَنْقُذُ الضَّابِطَ الْمَوْقِفَ، وَيَبْقِي الْأُمُورَ فِي سِيَاقِهَا

قَالَ:

الإشتباك

- إن شئت أحضرنا شخصاً آخر من الفلاحين، ونحقق معه في قضية ما، ثم نبغّه أننا سنهدم منزله أو نصادر أرضه.

فقال البرفيسور (جان) بحصافة العالم وخبرته:
- لا نريد شيئاً مسلوفاً، أريد حقيقةً، انفعالات حقيقية، على أية حال، إذا لم يحضر اليوم، أرجوا أن تستدعيني في أي وقت تكون لديك قضية مشابهة.

أخرج من جيبه بطاقة وتابع وهو يهم بالخروج:
- هذا عنواني ورقم هاتفي في المنزل وفي مكتب الجامعة.

كان الضابط الياهو ميالا لأن يغادر الأستاذ مكتبه في الحال، لذلك لم يلح عليه بالمكوث، فهو كالعلة المعدنية، لا يقوى على اختيار الوجه الذي يريد أن يظهر عليه.

- قال في مجاملة تقليدية كأنه ينسحب
ببطء:

- انتظر قليلاً فقد أوصيت على فنجان قهوة.

لكن الدكتور أدرك ما يعتمل في نفس الضابط،
فحزم أمره ووقف وهو يناوله البطاقة، لكن الضابط وجد
من الواجب الإعراب عن سروره فقال وهو يودعه:
- سررت كثيراً لما أوليتني من ثقة، وأنا سعيد أن
أقدم لأستاذي خدمة بسيطة.
- لا عليك....

لم ينقطع حبل المجاملة التي تحفل بها مواقف
الوداع دوماً، حتى قرع الباب وأدخل فايز الراجح،
الفلسطيني المطلوب، هنا انفرجت أسارير الضابط وتغير
موقفه ولهجته بحيث رحب بالشخص الذي أوصى عليه
كأنه نسي أنه لا يستقبل ضيفاً، بل عدواً يريد سلب
أملاكه، قال للثنين معا:
- تفضلاً بالجلوس.....

أفلتت من الأستاذ تعليقا مقتضيا.
- وأخيراً.....

الإشـتـبـاك

وهذا جعل الفلسطيني الأملعي فايز الراجح يرى الأمور على غير ما ألفها، وعلى غير ما يجب أن تكون عليه، فجلس في حركة مسرحية لم يعتدها الضابط، كأنه متحفز للمناكفة، راح ينظر للدكتور متفحصاً محاولاً فهم ما يجري، وخاصة أن الضابط إليها واتخذ جلسة مسرحية مصطنعة، وذاك الشخص الهرم الذي يرمقه بنظرات استطلاعية غريبة، فقال الضابط :

- لقد استدعيناك منذ الصباح، فلماذا تأخرت؟

عرف الفلسطيني أن هذا السؤال مصطنع، فرد بغير

اكتراث.

- حسب ما سمحت به الظروف.

- الأوامر العسكرية لا تخضع لظروفك.

- في المرة القادمة ثق أنني لن أتأخر.

لم يلحظ الدكتور اللهجة التهكمية، لأن سؤالاً

تبادر لذهنه:

- وهل تتوقع مرات أخرى؟

- أنتم يا خواجا مصيبة، أنتم ابتلاء من الله.
أجابه الياهو في استعلائية واضحة:
- نحن بشريا فايز الراجح، إننا نستدعيك
لنبغك أوامر الدولة، ليس لأنها دولة احتلال بل دولة
مواطنة.
- ما شاء الله ، تعبیر لم نسمعه، يمكن أن تقوله
لهذا الصحفي الأجنبي ويصدقك.
- ولكنها الحقيقة.
- إذن أبلغني أوامر الحكومة، فأنا أحد مواطنيها
الذين تهتم بمشاورتهم.
- يدخل مراسلٌ حاملاً ثلاثة فناجين من القهوة
قال الضابط كأنه يعامله كمواطنن إسرائيلى:
- أولا اشربا القهوة، فأنت في ضيافة إسرائيل:
- ابتسم فايز الراجح وقال للبريفسور(جان) وهو
يظنه صحفياً:

الإشتباك

- سجل عندك، وأخبر العالم بأني مواطن
إسرائيلي، وأنا هنا في ضيافة إسرائيل.

تجاهل الاثنان سخريته، وتهيأ الضابط لإبلاغه أمر
مصادرة أرضه، إذ فرد خارطة، وراح يدقق فيها ثم رفع رأسه
وبدأ يبحث عن مدخل مناسب.

- لا تستغرب إن قلت إن الألم يعتصرني وأنا
أبلغك ذلك، فأنا من اليهود الشرقيين، لنا هنا تاريخ
مشترك ومفاهيم مشتركة، ولنا نفس الثقافة، ها أنا
أتكلم لغة عربية، وأعرف قيمة الأرض عند العربي عامة
والفلسطيني خاصة.

- لا تتعب نفسك، تكلم، فنحن دوما نسمع ولا
نناقش.

إنها نبرة لم يسمعها المحققون من أحد، تنبئ عن
تحديّ دفين، يطل برأسه من بين الكلمات، يدفع كلاً منهم
أن يبقى في مستوى الخطاب الملعّم، إنها مسرحية
ارتجالية، كل تقمص دوراً يحاول إتقانه، لكن الجندي

عاموس فتح الباب واندفع بفرح عارم نحو الضابط إلباهو،
كأنه لم يرَ أحداً في الغرفة، ولم يكثرث بوجودهم، أخرج
مسدساً وقال بفرح طفلي.

- انظر...! انظر...! إنه نفس النوع من المسدسات، إنه هو،
ألستُ رائعاً؟

كانت حركة رعناء لها ما يبررها من شخص
أرعن، أثارت الضابط وأخرجته، فوقف وهو على شفا
الانفجار هاتفاً محاولاً أن لا تفلت منه الكلمات:

- من أذن لك بالدخول، كيف تدخل هكذا
وكأنك في بيتك؟ أخرج، أما ترى أن ضيوفاً عندنا؟

كان قد أفرغ شحنته وهدأ قليلاً، تراجع وقال:

- سأخرج... سأخرج...

استدار فوقه نظره على فايز الراجح، فصرخ بفرح:

- أأمسكتم به؟ آه وقعت أخيراً أيها الكلب.

وهم بالانقضاض عليه، لكن الضابط أمره بالتوقف

قائلاً:

الإشـتـبـاك

- هل تعرفه ؟
- أعرفه جيداً، وكيف لا أعرفه، فهو الذي أخذ
المسدس.
- اخذ المسدس...!!! أي مسدس؟ وكيف أخذ
المسدس؟
- أدرك أن الكلمات قد أفلتت منه وأن ما حاول
إخفاءه قد افترضح، وأن الضابط قد تورط أيضاً، وأن
الدكتور قد طاب له المشهد، فترجع عاموس بقوله:
- آه..... المسدس الذي ضاع .
- راح الضابط المأخوذ يسائل عاموس وكأنه يسائل
نفسه.
- كيف يضيع؟ ويكون هو الذي أخذه؟
- المهم..... فإن المسدس معه.
- اهتاج الضابط وقال بانفعال شديد:
- لا ... قل إنه هو الذي جردك منه.
- لا فرق... لا فرق، فالمسدس معه.

- أنت كذاب...أنت كذاب... أنت تخفي الحقيقة... أنت تخدمني، جميع أفعالك مخزية. قلت لي إنه ضاع، وتبين الآن أنه سُلِبَ منك.
- علينا أن لا نجعله يفلت، علينا أن نسترد المسدس منه.
- هذه مشكلتك أنت، وهذه غلطتك .
- لا تلمني الآن، يجب أن نأخذ المسدس أولاً، ولكن قلّي، كيف أحضرتموه، بل كيف عثرتم عليه؟
- وضح الأمر وما عاد الإخفاء ممكناً ولا التراجع جائزاً، تقرّم الضابط أو وجد نفسه مقزماً أمام أستاذه الدكتور(جان)، تنبه لوجوده ودنا منه شارحاً معللاً، كأنه يعتذر عن فوضى عرضية، فقال بابتسامة مفتعلة:
- نأسف يا دكتور عما حصل، يبدو أن قضية أخرى قد تكشفت، إنه متهم بسرقة مسدس، وتهريب السلاح للبلاد.

الإشتباك

- لا عليك ... حقق فيما تريد، وإن رأيت في وجودي إحراجاً لك، فإني سأذهب.
- إنها قضية غير رسمية، فلا مانع من وجودك.
- لا أدري أكلامك دعوة للبقاء أو دعوة للخروج.
- لا مانع من أن تبقى، لا مانع إن كان عندك المتسع من الوقت.
- شيء مشوق حقا.
- بدا الضابط محبطاً لا يدري ما يفعله، ربما هي الصدمة التي يتوقف فيها الذهن، بدا يحملق في عاموس وكأنه ينظر لمشهد سينمائي، فها هو عاموس يقترب من فايز الراجح، يشد خناقاه ويقول:
- أين المسدس الذي أخذته مني؟
- عن أي مسدس تتكلم؟ أنا لم آخذ مسدسك.

- مسدسي الذي أخذته مني:
- استح أيها العسكري، كيف لأحد مثلي أن يأخذ منك مسدسك؟
- عليك أن تحضر المسدس وإلا قتلتك.
- اقتل، أقتل إن كان هذا يفيدك.
- الياهو ينظر إليه، يمهل، لعله ينتزع منه اعترافاً، ويربحه من قضية تورط بها، فيترك له أن يشد على خناق، يضربه ويشتمه.
- قلت لك أين المسدس؟
- إن كنت قد بعت مسدسك، فكيف تطلبه مني.
- لا .. لقد خطفت المسدس مني.
- يا لهي... ألا تخجل من ذكر هذا؟ هذا هو مسدسك معك.
- وأشار إلى المسدس الذي يحمله .

الإشتباك

- أتريد التحقيق معي؟ إنني أعرفك، أنت الذي أخذ مسدسي.
- هنا توجه فايز للضابط لعله يمارس واجبه، وينقذه من هذا الذي يجري.
- اسمع يا خواجا...أريد أولاً أن أفهم سبب إحضاري، وما هي التهمة الموجهة إلي؟
- لم يعجب الجندي عاموس هذا التحول في المسار، فتابع الهجوم:
- إنها قضيتي أنا، أنا الذي أوجه لك التهمة.
- لكن فايز الراجح نهره بما يوقف تهديداته.
- اصمت أنت، أنا أخاطب رئيسك.
- تنبه الضابط لواجبه المفترض، وشعر أنه اخطأ بالسماح له بأخذ دوره فقال لعاموس.
- اجلس هناك ، فأنا المعنيُّ بالتحقيق.
- لكن فايز الراجح بادره بالسؤال:

- أريدك أن تفهمني السبب الذي إستدعيتموني لأجله ؟
- لأخبرك أننا صادرنا أرضك وألحقناها (بشيلو)
- لماذا تريدونني أن أعرف؟ ألكي اشتكي عليكم للمحكمة العليا؟
- ألا تريد أن تعرف الأوامر الإدارية؟
- وها أنا قد عرفت، وشكراً على لطفك وكرمك، فهل لي أن أذهب؟
- ونريد الآن أن نعرف قصة المسدس.
- أي مسدس؟ وهل يجرد كهل مثلي جندياً شاباً مثل هذا ؟
- بالتأكيد لا....، ولكن هذه القصة لم ينسجها من خيالة.
- وماذا لا ينسجها، ليبرر بيعه والإدعاء بأن أحداً سلبه منه.

الإشتباك

- لا ليس كما تعتقد، اتهامه هو اتهام صادق.
- وهل أنت على يقين ؟
- بالتأكيد.
- إذن اعتقلني، واسند إليّ تهمة تجريد الجندي من سلاحه.
- نحن لا نريد الإجراءات الطويلة، وسجنك وتعطيلك عن عملك.
- لا.. عطلني كما تريد، فقد أخذتم الأرض ولم يبق لي عمل.
- كانت لهجة فايز واثقة مما جعل الضابط إلباهو متأكداً أن فايز له ضلع في القضية، لذلك نهض مهدداً.
- يجب أن تعترف، فأنا متأكد أنك أخذت المسدس.
- إذن اعتقلني بهذه التهمة.
- وأنت الآن معتقل وسوف أجعلك تعترف.

الإشتباك

- جيد ...، هات الدليل.
- العسكري صاحب الشأن هو الذي يدعي عليك.
- وهل لديه دليل على ذلك؟
- لا أحد يعترف بادئا بما ارتكبه، لكنه في النهاية يعترف.
- تشجع الجندي عاموس، وانبرى مهاجما:
- أنا أعرفك ... أنت الذي أخذ المسدس.
- رد عليه فايز الراجح:
- ومتى كان ذلك؟
- أمس الأول.
- وهل أخبرت رئيسك بالحادث؟
- وهل تحقق معي أيها الكلب؟
- هنا سأل فايز الضابط إياهو:
- هل أخبرك باختطاف مسدسه؟

الإشْتَبَاك

- نعم... نعم... أخبرني .
 - وماذا لم تعتقلني فور دخولي عليك؟
 - هذا ليس من شأنك.
 - لا بأس، افعل ما تريد.
- هنا أعاد عاموس الكرة.
- قلت لك سأقتلك، إن لم تُعد المسدس سأقتلك.
- هنا ضاقت أنفاس فايز، فقال كأن روحه تتصعد.
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- أدرك الدكتور الصامت هذا الحوار المسدود فانبرى يحسم الأمر.
- اسمحوا لي أن أتدخل بالأمر، يبدو أن هذا القروي على علم بالتحقيقات أكثر منكما.
- ما كان الضابط يحمل فكرة توضيحية، فكأنه لم يكون بعد تصورا عما يدور، فقال بعضوية

الإشتباك

- إنه خبيث، خبيث جداً ... كل العرب خبيثاء
لثام.
- هذا لا يبرئك من المشكلة التي تورطت بها.
- أنا على يقين من أنه أخذ المسدس.
- هذه ليست مشكلته، إنها مشكلتك ومشكلة
الجندي هذا، إنه لا يتوانى عن اخذ أسلحة الجيش
كاملة إن استطاع.
- بدا الضابط محبطاً لا يدري ما يقوله .
- إننا في مأزق ... إننا نتهم أنفسنا.
- شيء مضحكٌ مبكٍ، ومعادلة غير مريحة،
أعزلُ مجرد مسلحاً من سلاحه...! أليست معادلةً خاسرة
يا كابتن؟
- أجل إنه شيءٌ مخجل.
- أرى أن تستخدم معه أسلوب اللين والإقناع، قبل
أن يفلت منكم زمام الأمر.

الإشتباك

- إنها مناورة مكشوفة، لقد اكتشف فينا
ضعفنا.
 - إذن ما العمل؟
 - لا أدري ...
 - قد يتحول السلاح إلى مشكلة، فالسلاح دوما
له حدان.
- أهدأ الضابط أعصابه، ودنا من فايز الراجح في
تودد قائلاً:
- اسمع يا فايز، فأنا أتكلم معك بشرف، فإن
أرجعت المسدس، فإني سأعطيك ما تريد.
 - أنا أيها الضابط لم آخذ المسدس، وأرجوا أن
تفهم هذا جيداً.
 - إنك تعرف أننا نستطيع إدانتك في النهاية،
وأنك لن تفلت من العقاب، ولكن نريد أن نختصر الكثير
من الجهد والتعب، ونحل المشكلة بأيسر السبل، ولأكن
صريحاً معك، بأن هذا ليس من أجلك، إنما من أجل

هذا الأحمق، وثق تماماً إذا أرجعت المسدس، ستتتهي
المشكلة، وليس من مصلحتنا إثارتها ثانية، بل سأدفع لك
ثمنه الآن.

- والأرض التي صادرتموها؟
- سنرجعها لك ... سنرجعها.
- بهذه السهولة ... !!) وكيف ستلغي قرار
المصادرة الصادر عن الحكومة؟
- لا عليك ... !! لا عليك ... !! سألغيه.
- إلى أن سيلغى، سأفكر بالأمر.
- لا... لا... أريد المسدس وسوف ألغيه اليوم.
- إنني منتظر هنا ... وحينما تعطيني قرار
الإلغاء، أعطيك المسدس.
- أووووه لا يوجد قرار بالمصادرة أنا
اخترعت هذا.

الآن يكتشف فايز ما وراء ذلك الاستقبال الذي قوبل
به، ولماذا قدم له فنجان القهوة، وما كان له أن يرتاب حول

الإشتباك

علمهم بخطف المسدس، ولا أن يضني ذهنه في نسج الحجج التي تنجيه من التهمة، وإنهم حتما لا يعلمون ما خفي بعد، الآن ارتاحت أعصابه فأخرج علبة سجائره، وأبرز واحدة وقدمها للضابط، الذي كان يمور غيظاً، لم يقبلها، أولعها فايز ونفث نفساً وقال وقد استرخى على الكرسي.

- إذا هكذا!! انتم تستهينون بنا وتلعبون...؟!)
- إنها مزحة وترويح عن النفس:
- إذن أنا لن أعطيك المسدس، إنه عندي ولن أعطيك إياه، وسأرى من سيلعب بالآخر.

ذهبت بعاموس الحماسة إلى إشهار السلاح، ويعلن صارخاً انه ليس جباناً، ويسحب الأقسام ويهيئ مسدسه للإطلاق، لكن الضابط يوقف تهوره، ويعدده وينتزع المسدس منه، ويؤنبه:

- اهدأ أيها الأحمق، لقد أوقعتني فعلتك في ورطة، وتريدني الآن أن أتورط أكثر، أنا لا أريد أن أخسر رتبتي وسمعتي وترفيعي، بسبب شخص صبياني مثلك.
 - لقد أخذه ويجب أن يرجعه.
 - وإن قتلته، أيرجعه لك؟
 - ليس مهما، فانتقامي مرّ ومخيف.
 - إخرس ... فإن كنت أنت الذي سيقع في سوء عمله، ويدفع الثمن، فأنا الذي سيؤخذ بجريرة جرم لم ارتكبه.
- لم يبق إلا اشتباك بينهما، فقام الدكتور يعلق على ما يرى.
- جئت لأنفجج على أعصاب هذا القروي الفلسطيني، وكيف ستنهار، فإذا بأعصابكم هي التي انهارت، وتستحق التسجيل والرثاء.
- فقال الضابط إياهو تعبيراً عن عجزه :

الإشتباك

- إنها المصيبة يا دكتور، ألا ترى أنني في وضع لا أحسد عليه؟
- أكيد ... هذا واضح.
- لا بد لي أن اخرج من هذا المأزق، يجب أن لا أجعل هذا السخيف عاموس يورطني أكثر.
- صاح بأعلى صوته ، كضابط يلقي أوامره ،
وبجدية لا تخفى:
- الجندي عاموس ... قف وأجب عن الأسئلة التالية:

- جزع عاموس واستغرب ما يسمع فقال مذهولاً:
- ما بك ؟؟ ماذا تقول؟
- أنا أمرك أمراً عسكرياً، يجب أن تقف متهيئاً،
وتجيب عن الأسئلة التالية التي سوف أتلوها عليك:
- أنا لا أفهم ...! ماذا تريد ...؟ ماذا تعني..؟
- يهين نفسه للكتابة وهو يقول:

- أين مسدسك يا عاموس؟
- أخذه هذا العربي.
- راح يكتب وهو يردد ما قاله عاموس.
- أخذه هذا العربي.
- صاح به كأنه ينهره.
- ماذا تفعل؟
- لا شأن لك في ذلك.... وكيف أخذه منك؟
- أنت تعلم كل شيء، فلمَ تسأل؟
- إنه محضر تحقيق، يجب أن أخرج من هنا
- المأزق، هل تعتقد أن تجاهلي للأمر سينجيك؟
- يجب أن نأخذ المسدس منه أولاً، فهو المنجى
- الوحيد.
- هذه مشكلتك أنت، ويجب أن تجيب على بقية
- الأسئلة.
- انهار عاموس وقال بتذللٍ لم يخفَ على أحد.

الإشتباك

- أرجوك... لا تكتب التقرير، سوف تقتلني.
- يجب أن يكون كل شيء مثبتاً في التحقيق.
- إن استرجعنا المسدس، نكون قد نجونا.
- أنا لا يهمني نجاتك، يهمني أن أعرف السبب، كيف حدث الاعتداء عليك، ولماذا لم تقاوم؟ ولماذا كنت بمضردك أثناء الدورية، ولماذا لم تخبرني بما جرى في الحال؟

- إنها أشياء تديني.
- يجب أن أدون كل شيء في محضر التحقيق، فهو السبيل الوحيد لإنقاذك وإنقاذ نفسي.
- ولكن إنقاذني في استرجاع المسدس.
- وما أدراني أنك تكذب؟ أريد أولاً أن أضع الحقائق أمامي مدونة على ورق، وأميز زيفها من صوابها، ثم استجوب هذا الفلسطيني وأتهمه وأعتقله.
- ولكن الوقت يمر.

هنا قاد اليأس عاموس إلى التوجه نحو فايز الراجح
يتذلل له .
- أرجوك يا صاحبي، أرجوك، ارحمني، أرجع لي
مسدسي.

شعر فايز الراجح بكثير من القوة، وكثير من
التشفي بالضابط والجندي، لذلك استرخى على
الكرسي كرسالة لإغاضتهما قائلاً:
- صدقني يا صاحبي اللدود، أني لا أعرف عن
مسدسك شيئاً، ولكن كن على ثقة أني سوف أقتلك به.
لم يسمع أحد منهم التهديد، ولم يعلق عليه، لكن
عاموس تبادر لذهنه فكرة، أخذ على إثرها مسدسه
الموضوع على الطاولة، وتقدم من فايز:
- أنظر إلى هذا المسدس، أليس نفس المسدس
الذي أخذته؟
- ربما.

الإشتباك

- تتبادل المسدسات، وأحلف بشرفي أن لا أثير ضدك أية قضية.
- فعلا...عندك شرف يحلف به.
- أقول لك الصدق، وأحلف لك بديني، إنك سوف تنقذني إذا ما تبادلنا المسدسات.
- ستستفيد أنت بالتأكيد من هذه المبادلة، لكني ما الذي سأستفيده أنا؟
- أعطيك ما تريد ، كل ما تريد.
- السلاح رأس المال، إن ذهب، ذهب كل شيء.
- أنت لا تعرف قيمة هذا المسدس عندي.
- اعرف، واعرف أكثر منك.
- ذاك عليه الرقم العسكري، وهذا الرقم يخصني أنا، يعني أنني أنا الذي أملكه، أما هذا المسدس فلا رقم عليه سوى رقم المصنع.

الإشْتباك

- وهل أنا غافل عن هذه الناحية ؟ لقد استفدت منها أكبر استفادة.

اهتزت فرائص عاموس، وتنبه الضابط لجملته الأخيرة فقام متسائلاً:

- ماذا...!!؟؟ وهل فعلت شيئاً بالمسدس؟

- أراك خائفاً؟

- لا... لا... لست خائفاً ولكنني أسألك.

قال فايز الراجح ليغيّر مجرى الحديث:

- أرجوا أن تقول لي متى أرجع إلي بيتي؟

- لا.. ليس قبل أن نعرف سر هذه القضية.

- أية قضية ؟ إنها مشكلتك مع جنودك.

بدا فايز الراجح أكثر تماسكا وقوة من عاموس وإلياهو، مما جعلهما أكثر حرصاً على إرضائه، فاقترب الضابط منه في تودد غير مألوف من العسكر:

- دعنا نتكلم بهدوء، لقد ثبت من فحوى

كلامك أن المسدس معك.

الإشتباك

- أنا لم أقل هذا .
- إنه واضح من تهديداتك، ولكن اسمع مني،
فالتحقيق يدينك في هذه القضية ولو بعد حين،
ونستطيع استرجاع السلاح منك، ويكون عقابك عظيماً،
أنا أعرف أن هذا الأحمق يمكن أن يكون قد نسيه، أو نُشِل
منه، أو ربما باعه، أو اغتصبه أحد منه بالقوة، كل شيء
محتمل ووارد، ولكن سوء تصرف هذا الأرعن، جعل الأمور
تصل إلى هذا الحد، لكنني أعرض عليك هذه المقايضة،
وهي أن ترجع المسدس ونغلق التحقيق، ولا نثير القضية
أبداً، وأنت تعرف أن إثارة هذه المشكلة لا تفيدينا .
- أنا آسف لا يوجد عندي مسدسات .
- إذن لا بد أن نستعمل معك العنف والقسوة،
فأنت تعلم أنني أملك صلاحية رئيس الوزراء، ولي أن
اعتقلك بلا تهمة، بمدد مفتوحة، وبسجن مغلق .
- أعرف هذا .
- وهل تعتقد أننا سنمنحك فرصة استخدامه .

- أنا لا آخذ إذنا منك أو من أي أحد.
- إذن... فأنت موقوف لمدة مفتوحة.
- لا بأس كل شيء متوقع.

إن عبثية هذه المفاوضات، تجعل كل المحاولات لا تفضي إلى شيء، حتى اعتقاله وحبسه حبساً إدارياً لا يفيد، لكن حفظ ماء الوجه يقتضي التحفظ عليه، ويقتضي مزيداً من التحقيق مع عاموس، فنادى على عاموس نداءً غاضباً :

- أنت أيها الجندي عاموس، لماذا لم تبلغ عن حادثة افتقارك للمسدس؟

جاء عاموس متذنباً:

- لقد أبلغتك، ألم أقل لك إنه فقد مني...!!!
- قلت أنه ضاع ولم تقل أنك جُردت منه، وعليك الآن أن تجيب بصدق، متحملاً مسؤولية إجابتك، كيف تم تجريديك من سلاحك؟
- سأقول لكن لا تكتب.

الإشْتَبَاك

وضع القلم ونظر إليه باحتقار، فأى مخبول هذا الذي سيُوشوشُ في محضر التحقيق، وبأي حبر سري سيكتب كلمات لا تقرأ، لم يبق أمامه إلا أن يصفعه، جزاءً على هذا الغباء، ضرب بالقلم على الطاولة، نفث غيظه وهمَّ بالنهوض، إلا أن جرس الهاتف قد قرع، جعله يجفل خيفة، ورغم الوسواس التي انتابه، فقد لجم انفعالاته، وأهدأ أنفاسه ورفع سماعة الهاتف بما اعتاد من تصنع، تمعروجه حينما قال نعم، كأن مسئولاً كبيراً يسأل عنه، أما حينما سأله إن كان عاموس موجوداً أيضاً، فقد أصابته مسّة كهربائية راجفة، اعترف بوجوده، وتساءل عن السبب، لكن الأمر كان واضحاً بالتحفظ عليه إلى حين مجيئهم، أراد التسوية رغبة في إعاقتهم عن المجيء بأن الدوام قد شارف على الانتهاء، لكنه وجد الرد حازماً فلم يستطع إلا أن يقول أمرك سيدي.

لم تخف نبرة الصوت وتعبير الوجه عند عاموس،
وحينما صوب إليها نظراته إليه، قال في هلع عاصف.

- ماذا في الأمر....؟؟؟
- الويل لك، لا بد أن أمراً ما قد حدث.
- ما الأمر؟
- لا شأن لك، اجلس هناك ولا تتكلم، وإلا حطمت رأسك، اجلس هناك كالكلب.
- كانت كلماته كالرصاص النافذ، لم يحرم معها عاموس كلاماً، اطمأن لخنوع عاموس، وتوجه لفايز الراجح متسائلاً :
- والآن بعد أن عرفنا وتأكدنا أنك أخذت المسدس، نريد أن نعرف ماذا فعلت به؟
- لم أفعل شيئاً.
- سيأتي الآن المدعي العام ليحقق مع الجندي عاموس.
- وما شأني في ذلك؟
- لا بد أن يكون المجيء متعلقاً بالمسدس.
- أما زلت مصراً على أن المسدس عندي؟

الإشتباك

- قل بربك ماذا فعلت بالمسدس؟ إن برودة أعصابك تدل على أنك تخفي شيئاً عظيماً، فأنت واثق من عملك، درست وخطت له ونفذته بدقة.

- بما أنك قد فهمت الأمور على هذا النحو، ألا ترى من غير الحكمة أن أكشف لك أسراري .

كيف يفحمه هذا اللعين بأجوبة كأنه يحفظها، بسيطة كأنها بديهيات لا تحتاج إلى تمعن، ماذا سيقول للمدعي العام، يجب أن لا يبدو مغيباً، يجب أن يعلم المدعي العام بأنه ما زال يستكشف الموضوع، ومن المفتح أن يلعب به هذا القروي وكأنه دمية، فليحاول، فلا مناص من تكرار المحاولة فقال لفايز الراجح:

- قل لي بربك ماذا فعلت بالمسدس؟ فالمدعي العام قادم.

- أهلاً به وسهلاً ، هل تريد مني الذهاب.

- كفى لعباً بأعصابي ..!!! قل لي ماذا فعلت

بالمسدس؟

- إحزر... لا بد أن تكون لك دراية بالأمر.
- استشاط الياهو، شد شعر رأسه وصاح في تذلل.
- أبوس يديك ورجليك، قل لي ما ذا فعلت
- بالمسدس؟ أقتلت به شخصا؟ أم بعته؟ أم ماذا فعلت به؟
- ستعلم مع مرور الوقت.
- إذن لا بد أن يستغل ما تبقى من الوقت، فلا بد من أن يكمل استجوابه لعاموس، رجع إلى ما ابتدأه، أمسك القلم ويكل ما أوتي من جديّة قال:
- يا عاموس، قف أمامي وأجب على أسئلتني، أين مسدسك يا عاموس...!!!
- لقد ضاع مني.
- راح يكتب وهو يردد
- ضد — اع م — ند ي ، وأين ضاع ؟
- لا... لا... إنه معي ...
- أجب إنه معي، أرني إياه يا عاموس..!!!

- تفضل ...

وصل عاموس مرحلة الإقرار بالجرم، فلا بد أن يعترف، لعله يفضي إلى القبض علي هذا القروي الفلسطيني، لكن الباب يفتح عن المدعي العام الذي يدخل بأبهة القانون وهيئته، يقف الجميع احتراماً كما هي العادة، وكما يشاء المدعي من ترسيخ هيبة القانون، يتبعه اثنان يحملان حقائب، عابسين كأنهما يدخلان على جسد مسجّى، أفسح لهما الضابط مكتبه، بينما انتحى جانبا كل من البرفسور وفايز الراجح، لكن الضابط أدخلهما الغرفة المجاورة وأفضل عليهما، عاد سريعا يدعو المدعي العام للجلوس مكانه، بينما جلس قبالتة على الكرسي، وظل عاموس واقفا، فقال المدعي وقد أخذ موقعه.

- أنت الضابط إياهو؟

- نعم .

- أين الجندي عاموس؟

- ها هو أمامك.
- أين مسدسك أيها الجندي عاموس ؟؟
- ارتبك عاموس وقال وهو يمد يده لجراب المسدس
- إنه... إنه... إنه... هذا.
- أخرجه ببطئ كأنه يسرقه وناولته للمدعي العام.
- تفضل.
- أنت متأكد أنه مسدسك؟
- بالضبط .
- وانه يحمل الرقم العسكري الذي هو مصروف لك بموجبه.
- لا علم لي بالرقم العسكري.
- أن تكذب فهذا جائز، أما أنك لا تعلم ما معنى الرقم العسكري، فتلك مصيبة.
- أشاح المدعي العام عنه، ليلتفت إلى جانب آخر، فقال للضابط إلباهو:

الإشْتَبَاك

- أعطني ملف الجندي.
- ذهب الضابط إلى خزانة الملفات، فاستل واحداً
وقدمه للمدعي العام.
- هذا هو.
- فتح المدعي العام وراح يدقق به، مفتشاً عن المستند
المصروف بموجبه المسدس، بل يقارن بين رقم المصنع
الموجود على المسدس بالموجود في ورقة البيان، يستوضح
الاختلاف، يطوى الملف، ويهز بيده المسدس ويسأل سؤالاً
استنكارياً.
- أهذا المسدس الذي استلمته ؟
- قال كأنه يستهجن ما يسمع.
- إنه المسدس الذي استلمته.
- لكنك موقع على مستند الصرف الذي نص
على رقم مصنع غير رقم المصنع هذا، كما أن هذا لا
يحوي رقماً عسكرياً.
- يا سيدي هذا الذي استلمته والذي استخدمه.

- انتهينا من هذا الموضوع ونريد أن نعرف أين كنت عصر الثلاثاء ٧/١ ؟
- لا أدري ، فأنا لم أرصد تحركاتي .
- يجب أن تتذكر جيداً .
- وجد الضابط من واجبه أن يجيب، لأنه الأدرى بذلك :
- لا بد انه قد كان في مهمة استطلاع أو حراسة.
- هل لي أن أرى جدول توزيع الوظائف والخفارات ؟
- نهض الياهو ثانية إلى خزانة الملفات واحضر ملفاً راح يفتحه ويقدمه للمدعي العام. فيتناوله المدعي العام ويقرأ به:
- كنت مساء بدورية على طريق نابلس رام الله، أليس كذلك ؟
- بالضبط.

الإشْتَبَاك

- من الساعة الثانية حتى الساعة الثامنة ؟
- بالتأكيد .
- وكانت الدورية مكونة من ثلاثة ؟
- صحيح .
- هل استطيع أن أخذ شهادة الجنديين
الأخرين ؟
- خرج الضابط فوراً يستدعي الجنديين، لم يمكث
طويلاً حتى عاد بهما، أديا التحية فقال المدعي العام:
- مساء الثلاثاء الأول من تموز، أين كانت
خفارتكما ؟
- على الطريق بين نابلس ورام الله
- ما عدد أفراد الدورية ؟
- نحن الإثنين
- من هما ؟
- أنا وديفد
- وعاموس ؟

- لم يكن موجوداً .
- شكراً ...يمكنكما الانصراف .
- حين خرج الجنديان، توجه للضابط يسأله:
- هل كان غياب عاموس عن الدورية رسمياً
ومسجلاً ؟
- ارتبك الضابط ،فقد تفاجأ حقا بهذه الحقائق
فقال كما يجب أن يقول، فذهب إلى ملف الحضور
والغياب، قرأ فيه وهو يقدمه له:
- كان موجوداً .
- تريد أن تقول إنه حضر وذهب مع الدورية،
لكنه هرب، أليس كذلك؟؟؟
- ليس مؤكداً ، ولكن ...ربما ..
- قاطعته عاموس وقال ببراءة يجيد اصطناعها .
- لماذا كل هذه التحقيقات ؟

الإشتباك

- لأنك ارتكبت في هذا اليوم وهذه الساعة جريمة قتل بمسدسك هذا.
- في جو الذهول هذا أخرج المدعي العام المسدس الحقيقي لكن عاموس الأهوج راح يتأتئ منفعلا :
 - أ.....أ.....أ.....أ أنا لم اقتل أحداً.
- أليس هذا مسدسك يا عاموس ؟ لقد وجد في ساحة الجريمة.
- لكني لم ارتكب جريمة.
- لكن مسدس الجريمة هو مسدسك، وهذه الأرقام تشهد بذلك.
- ولكنه ضاع مني، واشتريت عوضا عنه.
- هذا جائز، ولكن أين كنت وقت وقوع الحادث؟
- كنت أبحث عنه.
- وهل أخبرت رئيسك بفقده؟

- ها هو الضابط يرتبك أيضاً ولم ينبر للإجابة،
يتمتم كأنه يتدرب على إجابة تبادرت لذهنه للتو، فقال
المدعي العام الذي خبر لغة الجسم البدائية:
- لقد فهمت ما لا تريد أن تعترف به، إنك
عرفت بما جرى، لكنك لم تفعل شيئاً.
- لا... لا... لقد اخبرني اليوم، وكنت أحقق معه
حينما هاتفتني، انظر إلى هذه التحقيق، إنها البدايات
التي لم أتممها.
لم يهتم بهذا المبرر الساذج، بل راح يكمل أسئلة لا
بد أن يوجهها لعاموس.
- وأين كنت تفتش عنه ؟؟
- على نفس الطريق التي كنا نسير عليها.
- ولكن كيف ضاع منك؟
- ضاع... ضاع.... لا أدري كيف ضاع...!!!
- على أية حال، إنك متهم بقتل ضابط في
الجيش، وأداة الجريمة هو مسدسك هذا، كما أن

الإشتباك

تغييبك عن عملك يدينك أكثر، وخاصة انه كان في وقت وقوع الجريمة.

- بريء ... أنا بريء
- قد تكون بريئاً ...!! ولكنني الآن لا استطيع إلا أن أتهمك وأدينك وأعتقلك ويمكنك أن توكل محامياً للدفاع عن نفسك.

ثارت في نفس الضابط معرفة، دفعته لأن يصيح:

- بريئ ... إنه بريئ.
- إن كان لديك من أقوال تفيد التحقيق، سنسألك عنها فيما بعد.

تجاهل الحوار معه وقال للمرافقين له: إقبضا على عاموس وأخرجوا.

هنا انكفأ الضابط على نفسه، يناجي ذاته كالمخمور:

- شئى لا يصدق ..! إن هذا ليس تصادفاً، كيف يحدث هذا بدون رصد مسبق؟ وإعداد تام، وإدراك لخفايا الأمور، إن الصدفة لا يمكن أن تلعب كل هذه الفصول. أفلتت منه التفاته نحو جريدة معاريف، نحو المانشت المنشور، الذي ازمع الآن أن يقرأه.

لم يهرب فايز الراجح، بل دخل مع الدكتور، كأنه لم يقترف عملاً يدينه، أو ربما رأى في الهروب عملاً عبثياً، أو أجل الهروب ريثما يخطط له جيداً، ربما يفكر أو يعجب من المدعي العام الذي لم يعتقله، وهذا الضابط المرتبك الذي يقرأ هنيهة ويسترجع ما جرى هذا اليوم، ويعاود سؤال فايز الراجح:

- ألا تريد أن تعترف كيف أخذت المسدس؟
- لماذا لا تسألني كيف اغتصبت المسدس؟
- أكان يخامرك شك بالإفلات؟
- النجاة لم تكن من أولوياتي تفكيري، النجاة في المرتبة الثانية، هي ضريبة لا بد أن يدفعها أحد ما.

الإشتباك

- أعجب ما في الأمر أنني لا أستطيع معك فعلا،
لا أتهمك ولا اعتقلك ولا أطلقك ولا أحبك ولا
أكرهك ولا أقتلك، إنها علاقات ليس منها فكاك.
- إذن إنه الإشتباك، أما تراني لم أهرب من هذا
الإشتباك.
- وهذا ما يحيرني.
- قاتلتمونا ونحن ضعفاء، وها نحن نقاتلكم
وانتم أقوياء، هل لاحظت ذلك؟

الزرقاء : كانون ثاني ١٩٨٤

تنويه

في سنوات الثمانينات الأولى تواترت
الأخبار بأن لوائح الاتهام الموجهة
للمناضلين الفلسطينيين كثيراً ما تضمنت
شراء أسلحة من الجنود، أو تهريبها من
المعسكرات، أو تجريدتهم منها
لذلك....

لم تكن عقدة الرواية من نسج الخيال